مقـــــدمة:
إن استعمال العينات لدراسة ظاهرة مادراسة علمية أصبح شائعا في مجال البحث العلمي أي أن الباحث يجد نفسه لا يستطيعالقيام بدراسة شاملة لجميع مقررات البحث فلا يجد غير وسيلة بديلة يستطيع الاعتمادعليها وهي الاكتفاء بعدد قليل من هذه المقررات،ولكن حتى يكون ذلك ممكنا ودقيقا فيتمثيل المجتمع،يجب أن يكون التصميم العيني وتطويره منسجما مع المبادئ والمنهجيةالمقترحة في الصفحات الموالية التي نهدف من ورائها توفير نص أساسي حول تقنياتالمعاينة في العلوم الاجتماعية.
إذن ماهي العينة وما هي مبادئها وخطواتها ودورهافي البحث العلمي؟

تعريف العينة والأسباب الدافعة لاستعماله:

العينة هي اختيار جزء من الكل وهذا الجزءيتكون تشكيليا للكل،والعينة هي عملية تأتي لتسهيل البحث العلمي تعطي نتائج علىالعموم دقيقة وتجيب على معظم أسئلة الموضوع،أو بصيغة أخرى هي عبارة عن عدد محدود منالمفردات التي سوف يتعامل معها الباحث منهجيا ويشترط فيها أن تكون ممثلة لمجتمعالبحث في الخصائص والسمات. فالعينة إذن هي جزء من المعين أو نسبة معينة من أفرادالمجتمع الأصلي ثم تعمم نتائج الدراسة على المجتمع كله،ووحدات العينة قد تكون أحياءأو شوارع أو مدن أو غير ذلك.فمثلا لو افترضنا أن باحث يريد دراسة مشكلات طلاب كلياتالمجتمع فإن مجتمع البحث هنا هو جميع الطلاب في جميع كليات المجتمع،فهل من المفروضأن يدرس الباحث كل الطلاب؟ وهل يحتاج لذلك؟ وهل يستطيع؟ وهل يملك الوقت الكافي؟
إن طلاب كلية الجزائر مثلا كلية العلوم السياسية والإعلام يزيد عددهم عن 2000طالب وهو مجتمع ضخم لا يستطيع الباحث أن يدرسه فماذا يفعل إذن؟
على الباحثأن يختار جزءا من مجتمع البحث يسمى عينة البحث انه في مثل هذه الحالة يشبه الطبيبالذي يحلل دم المريض،انه لا يحلل كل دم المريض إنما يأخذ عينة صغيرة فقط ولا شك أنلهذه العينة الصغيرة الخصائص نفسها لدم المريض كله،فالطبيب لا يحتاج لتحليل كل الدمولا ضرورة لذلك،وكذلك الباحث لا يحتاج إلى دراسة كل أحوال و مشكلات كل طلاب كليةالعلوم السياسية والإعلام بل يختار عينة منهم أو عينة تمثلهم وهكذا يمكن أن نفهمالأسباب التي تدفع الباحث إلى اختيار العينة بدلا من دراسة المجتمع كله من خلال مايلي:
-إن دراسة مجتمع البحث الأصلي كله يتطلب وقتا طويلا وجهدا شاقا وتكاليفمادية مرتفعة .

المبحـــث الثـــاني: أنـــواع العينـــات:

تختلف أنواع العيناتباختلاف الطرق التي تتبع في اختيارها وان كانت جميعها كهدف إلى تمثيل جميع مميزاتوخواص المجتمع الأصلي،وان تعدد الطرق في اختيار العينة يوجب على الباحثالمفاضلة.
وفي الواقع هناك نوعان من العينات الأولى احتمالية الأكثر استخداما والثانية غير احتمالية بسبب طبيعة الموضوع وما يأتي من عينات فرعية تكون في جميعالأحوال منتمية للعينات العشوائية أو القصدية.

العينـــات الاحتمـــاليـــة أوالعشـــوائيـــة:

1-العينة العشوائية البسيطة:هي عينة قائمة على الصدفة،وهي أبسط أنواعالعينات رغم أنها تتبع خطوات معروفة المتمثلة في أن تمثل مفردات المجتمع بأوراقيكتب عليها حرف أو رقم يمثل فردا معينا من المجتمع حيث لا يمثل إلا مرة واحدة،ثمتوضع هذه الأوراق في كيس وتخلط جيدا،ثم نختار منها عددا بطريقة عشوائية بما يساويعدد العينة المرغوبة،بعدها يقرأ الباحث الأرقام عشوائيا حسب الترتيب أي في اتجاهأفقي،وحينما يقرأ رقما يوافق الرقم المكتوب على الورقة سيكون هذا الرقم مفردة منمفردات العينة

المختارة.

-2العينة العشوائية المنتظمة:وفيه نختار العينة عن طريقاختيار المفردات من مسافات متساوية على القائمة بعد إعدادها إطار المجتمعالأصلي،ونبدأ باختيار رقم من(1-10)بطريقة عشوائية ولنفرض بأنه رقم (4)فيكون الاسمفي الترتيب الرابع هو الفرد الأول في العينة. ثم نضيف بعد ذلك10حتى نحصل على الرقم 14 وتسير بنفس التسلسل إلى نهاية الأرقام وللتمثيل على ذلك نتصور مجتمع من 500فردنريد أخذ عينة منه عددها 100 فإذا بدأنا بالرقم 4يليه 9-13 و هكذا أو إذا بدأنابالرقم 5 فالذي يليه سيكون 10,15,20 وهكذا وقد يكون اختيار العينة المنتظمة حسبالمكان فنختار الأماكن التي تبعد ميلا واحدا عن بعضهما مع اختيار أول مكان عشوائياوأن من أهم مميزات العينة المنتظمة هو بساطتها وسهولة إجرائها وقلة الأخطاء الناجمةعن الاختيار.

3-العينة الطبقية:في الغالب يصادف الباحث في هذه العينة إلى أنتكون العينة ممثلة لمختلف الفئات المتجانسة في المجتمع في هذه الحالة ينقسم المجتمعالأصلي إلى الآتي:

أ-فئات أو طبقات وفق خواص و مزايا معينةمثل:السن،المهنة،الجنس.

ب-يقسم المجتمع الأصلي حسب الفئات المطلوبة،وتأخذ كل فئةعلى حدا عشوائيا فمثلا يقسم أفراد المجتمع إلى عمال،طلبة،منتجين.

ج-نختار شريحة واحدة من شرائح المجتمع،ولتكن العمال مثلا،ثم نختار العدد المطلوب منها، حيث يكونربع العدد الأصلي،فلو فرضنا أن حجم العينة هو(200شخص)موزعين على (4فئات)،فيكونالعدد المقسم هو(50)لكل فئة.وبعد ذلك يبدأ الباحث بإجراء الدراسة وجميع المعلوماتوفق هذا العدد وهذا التقسيم.

-4العينة المساحية:هذه الطريقة ذات أهمية كبيرة عندالحصول على عينات تحتل المناطق الجغرافية المختلفة، كما لا يطلب في هذه الحالةإعداد قوائم كاملة لجمع الأفراد أو العناصر داخل المناطق الجغرافية معينة ولكننختار المناطق الجغرافية نفسها بطريقة عشوائية،ولكن يجب أن تحتل في كل منطقةإقليمية مختارة كل فئات اجتماعية متمايزة وبتوضيح أكثر فإن الباحث يختار عينةعشوائية أو منتظمة من المحافظات التي تدخل في إطارالبحث ثم يختار من بين المحافظاتالمختارة عينة من المدن،ثم يختار من بينها عينة من الأحياء،المساكن وهكذا... ويمكناعتبار هذه العينة عينة عشوائية متعددة المراحل.

-5العينة المقيدة:تتطلب بعض البحوث عينات مقيدة محددة بأوساط خاصة وبذلك تكون عملية اختيار من المجتمع الأصليعملية مشترطة بشروط تحدد الأفراد الذين تشتمل عليهم العينة المطلوبة ويتم عمليةالاختيار على مرحلتين:

المرحلة الأولى: يتم فيها حصر المستوفين لشروط فيالمجتمع.

المرحلة الثانية: اختيار العينة المطلوبة من هؤلاء الأفراد مع تطبيقالقيود اللازمة على هذا الاختيار.

-6العينة العشوائية المتعددة المراحل:وتستخدمهذه العينة عندما يكون مجتمع البحث كبيرا يتعذر حصر مفرداته،عندها يضطر الباحثللقيام بمراحل متعددة من الاختيار العشوائي،وإذا أردنا التعرف على المستوياتالثقافية لموظفي وزارة التنمية الاجتماعية في الجزائر بطريقة عشوائية والتعرف علىمستويات أفراد العينة ثقافيا عن طريق المقابلة .

العينـــات الاحتمـــاليـة:

وهي التي يكون انتقاء العينة فيها نتيجة الصدفة المحمولة،ذلك أناحتمال اختيار عنصرها يكون من ضمن العينة هو غير معروف وغير محدد مسبقا بكل عنصر لهالحظ في أن يختار إلا أن هذه الإمكانية تبقى مجهولة لأن عدم الانطلاق من قاعدةمجتمع البحث لا يسمح باختيار عنصرها لذلك فدرجة خطأ العينة و

تمثيلها غيرمعروفة،وتكون على أنواع:

-1العينة الفرضية:وتتم عندما لا يكون أمام الباحث أياختيار لا في إحصاء مجتمع البحث ولا في اختيار العناصر بطريقة عشوائية،وتعتمد هذهالطريقة في انتقاء العينة عندما لا يكون في إمكان الباحث أن يفعل أفضل.

-2العينةالنمطية:وتتم عن طريق البحث عن عناصر تكون بمثابة صور نمطية لنفس مجتمع البحث الذياستخرجت منه،فإذا أردنا مثلا معرفة درجة الاهتمام بالأدب عند الطلبة بالجامعة،يكونطلبة الأدب مركز الاهتمام للاعتقاد أن هؤلاء هم أكثر اهتماما بالأدب من غيرهم،فنحنإذن نوجه اختيارنا نحو عناصر لها خصائص تسمح لنا أن نقول عنها أنهانموذج.

-3العينة الحصصية:وتتم بواسطة سحب عينة من مجتمع البحث بانتقاء نسبةمعينة لكل فئة، وعنى ذلك أن هناك حصصا يجب احترامها و نسبة مئوية معينة،أوهي تشبهالعينة الطبقية، ولكنها لا تكون في حاجة إلى سحب عن طريق القرعة.ومن ثمة يستحيلقياس درجة تمثيلها. وهي تستخدم عادة من قبل بعض الهيئات والمنظمات الحكومية لسبرالآراء.

-4العينة العددية:يعتمد الباحث في بعض الأحيان على خبرته في تحديداختيار نمط المجتمع الذي يريد أن يبحثه فقد يختار الباحث مناطق محددة تتميز بخصائصمعينة والاختيار لهذا النوع من العينة يعتمد على الباحث وعلى معرفته لكل المعلوماتالإحصائية،وتقترب هذه العينة من العينة الطبقية.

يقوم الباحث باختيار هذه العينةاختيارا حدا على أساس أنها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها،فإذا أراد باحث أنيدرس تاريخ التربية في الأردن،فإنه يختار عددا من المربين كبار السن كعينة قصديةتحقق أغراض دراسته أنه يريد معلومات عن التربية القديمة في الأردن.وهؤلاء الأشخاصيحققون له الغرض،فلماذا لا يأخذهم كعينة؟إذ ليس من الضروري أن تكون العينة ممثلةلأحد.فالباحث في هذه الحالة يقدر حاجته إلى المعلومات ويختار عينته مما يحقق لهغرضه.

5-عينة الصدفة:وهي أن يتجه الباحث إلى عدد من الأفراد الذين يلتقي بهممصادفة،ورغم استخدام هذه الطريقة في دراسات الرأي العام والتحقيقات التي يقوم بهاالتلفزيون ويستطلع أراء الجمهور حول قضية معينة،إلا أن هذه الطريقة في اختيارالعينة لا يمكن الوثوق بنتائج بحثها،حيث يعتقد البعض أنها تمثل المجتمع تمثيلاصادقا.

خطوات تحديد العينة:

تحديد مجتمع البحث الأصلي:

إن القصد بمجتمع البحثفي لغة العلوم الإنسانية هو المجموع الكلي من المفردات المحدودة أو غير المحدودةأما مفردات البحث التي تعرف أيضا لدى الباحثين بعناصر البحث أو وحدات البحث فهيالأجزاء المكونة لمجتمع البحث .

مثال:دراسة ظاهرة تأثير ألعاب الفيديو على قيمالأطفال.

فالأطفال الذين يمارسون ألعاب الفيديو هم مجتمع البحث،والطفل الواحدالذي يمارس ألعاب الفيديو هو مفردة البحث ومجموع هذه المفردات تشكل مجتمعالبحث.

ويتضح مما سبق أن مفردات البحث غير محدودة في المثال السابق وذلك بسببشساعة جمهور الأطفال التي ليست باستطاعة الباحث الوصول إلى أحجامها الحقيقية،أماإذا قمنا بدراسة تأثير ألعاب الفيديو على قيم أطفال مدرسة ابتدائية ما،فهنا توفرتالإمكانيات اللازمة للباحث لتعرف بصورة جيدة على مجتمع هذا البحث الصغير وضبط حجمهالحقيقي.

إن ما يمكن استنتاجه من الطرح السابق هو أن الباحث لا يستطيع الشروع فيانجاز الدراسة حتى يتعرف بصورة جيدة على مجتمع البحث،أي أساس نجاح التعيين يقومأولا على تحديد حجم مجتمع البحث الأصلي وما يحتويه من مفردات،إلى جانب التعرف علىتكوينه تعرفا دقيقا يشمل طبيعة وحداته هل هي متجانسة أم متباينة ولن يتمكن الباحثمن الوصول إلى ذلك إلا بعد الدراسة الدقيقة من خلال الاعتماد على الأساليب العلميةالمعروفة مثل: الأبحاث الاستكشافية،الدراسات المسحية.(1)

وهنا يمكن الإشارة إلىأنه على مستوى بعض الحالات الدراسية كما سبق التطرق إلى ذلك يمكن حصر مفردات مجتمعالبحث الأصلي نظرا لصغره أو توفر إمكانيات تعداد وحداته وإعداد قائمة بجميعوحداته،لكن في بعض الحالات الدراسية الأخرى يصعب تحديد حجم مجتمع البحث،مثل حالةدراسة قراءة صحيفة معينة على مستوى منطقة جغرافية شاسعة حيث عدد هؤلاء القراء فيتغيير يومي إلى جانب استحالة الوصول إليهم وإحصائهم بالآلاف والملايين في شكلقائمة،في مثل هذه الحالات الدراسية يقوم الباحث بتحديد مجتمع بحثه الأصلي من خلالالاكتفاء بدراسة أوساط مختلفة فيه مثل:وسط قراء الأحياء الغنية،وسط قراء الأحياءالفقيرة على مستوى المدينة،وسط قراء الريف أو وسط قراء الثانويين،وسط القراءالجامعيين،لأن دراسة هذه الأوساط تمكن الباحث من التعرف بصورة عامة على مجتمع البحثالأصلي وما يسود مفرداته من تماثل أو تنافر(يوجد تباين بين مفردات البحث:في مستوىالتعليم،عامل السن،الوضع الاجتماعي) وبالتالي إجراء عملية التعيين انطلاقا من خلفيةالدراية الكافية بالمجتمع محل البحث .

تحديد حجم العينة:

قبل الإقدام على اختيار العينة من مجتمع البحث الأصلي لابد من ضبط العدد الحقيقيللمفردات،الذي يدخل في تكوين العينة في إطار التمثيل السليم للمجتمع المبحوث،وتحقيقالأهداف البحثية المطلوبة.

مثال: لدينا مجتمع بحث يتكون من 2000طالب،أراد الباحثدراسة نسبة 10 ٪من مفردات المجتمع المبحوث،أي اختيار200مفردة (حجم العينة) وهذاالاختيار أي اختيار العينة يخضع عمليا إلى عدة عوامل منها:

أ-طبيعة التكوين الداخلي للمجتمع الأصلي من حيث تجانس أو تباين وحداته:

مثلا:في حالة تجانسمفردات المجتمع الأصلي أي أن المفردات تحمل نفس المعلومات المطلوبة(مستوى التعليمواحد،عامل الوضع الاجتماعي،عامل السن)فإن أي عدد مكون للعينة كاف لتمثيل العددالكلي للمجتمع المبحوث.

أما في حالة تباين مفردات مجتمع البحث فإن الأمر يختلفعن ما ذكر سابقا لأن هذه المفردات لا تحمل نفس المعلومات الواحدة وبالتالي يجب علىالباحث في اختيار حجم العينة أن يحرص على أن تكون جميع هذه التباينات مضمنة داخلهامثل قيام الباحث بدراسة جمهور وسيلة إعلامية معينة حول درجة مشاهدة برنامج معين فإنمفردات البحث في هذه الحالة متباينة من حيث المعلومات و البيانات المطلوبة كونتأثير عامل السن والجنس وعامل مستوى التعليم و عامل الوضع الاجتماعي...الخ يؤثر علىالمشاهدة وبالتالي فإن المعلومات المطلوبة ليست واحدة بين المشاهدين المكونينللمجتمع الأصلي {تختلف درجة مشاهدة مباريات كرة القدم من الرجل إلى المرأة (عاملالجنس) .}

ب-طبيعة المعالجة ومستواها العلمي للموضوع المبحوث:لا يتمكن الباحث منالتعرف على تكريس مجتمع البحث الأصلي وطبيعة وحداته،هل هي متجانسة أم متباينة إلابعد الدراسة الدقيقة من خلال الاعتماد على الأساليب العلمية وهو ما أدى إلى وجودأكثر من طريقة معالجة مثل الطريقة المسحية،الاستطلاعية فالطريقة الأولى تتطلب عدداكافيا من مفردات مجتمع البحث،أما الدراسات الاستطلاعية لا تحتاج إلى عينة

كبيرة منمفردات المجتمع المبحوث.
إلى جانب الدراسات فإن هناك عدة عوامل أخرى تتدخل فيتحديد حجم العينة مثل طبيعة الجمهور لأن إجراء البحوث خاصة منها الميدانية مع جمهورمتعلم أسهل في جمع المعلومات من حيث عدم مواجهته لصعوبته مع أفراد هذا الجمهور فيتحصيل المعلومات،وبالتالي يكون الوقت لصالحه في توسيع حجم عينة،أما إذا كان الجمهورالمبحوث أميا أو خاص بالأطفال الصغار حيث يصعب التعامل معهم في جمع المعلومات،الشيءالذي يجعل الباحث يأخذ هذا الوضع بعين الاعتبار في تصميم العينة،أي كلما كان جمهورامتعلما يسهل عليه جمع المعلومات ويساعد في توسيع حجم العينة.

المبحث الثالث: أساليب اختيار العينة:

يمكن حصر ثلاثةأساليب لتحديد العينة وهي:

1/الأسلوب العشوائي:يقوم الأسلوب العشوائي على عاملالصدفة في اختيار مفردات البحث، حيث يتم سحب مفردات البحث باستخدام طريقة القرعةالتي يمنح الباحث من خلالها لوحدات المجتمع فرص متساوية للظهور في عملية السحب عنطريق كتابة هذه المفردات الخاضعة للسحب في قائمة دون إهمال أو تكرار لأي منها. ويطلق على هذا الأسلوب العشوائي الأسلوب الاحتمالي ويستخدم في الحالات التي تكونمفردات مجتمع البحث الأصلي متجانسة وكذلك المجتمعات صغيرة الحجم.

ب/الأسلوبالمنتظم:يستخدم الأسلوب المنتظم في الحالات التي يكون فيها مفردات المجتمع الأصليمتباينة من حيث طبيعة المعلومات المطلوبة،وهو أسلوب يقوم على مبدأ توزيع مفرداتالعينة على مجموعات متساوية من مجتمع البحث وهذا التطبيق يتطلب أولا تحديد حجممجتمع البحث تحديدا دقيقا،وثانيا تحديد حجم العينة المراد سحبها،وثالثا إيجاد طولفارق العددي مجموعة من الاختيار من خلال قسمة الحجم الأول على الحجم الثاني ثم فيالأخير تعبر العدد العشوائي على مستوى المجموعات المحصل عليها بطريقة الأسلوبالعشوائي السالف الذكر.

مثال:*لدينا مجتمع بحث يتكون من 1000مفردة ونرمز لهذاالمجتمع بالرمز "ي."
*أراد الباحث سحب عينة حجمها 10 ٪ أي عدد مفردات العينة هو 100 مفردة (1000×10٪ ÷100=100مفردة)،ونرمز لمفردات العينة بالرمز"ن."
*نقوم بحساب طول مسافة الاختيار (الفارق العددي)بقسمة "ي"على"ن"أي مجموع مفردات المجتمعالأصلي على مجموع مفردات العينة 1000÷100=10 طول مسافة الاختيار(الفارق العددي)
ثمنختار بطريقة عشوائية رقم لا يفوق قيمة هذا الفارق وأي من [1إلى10]ونفترض أن السحبالعشوائي أسفر عن اختيار رقم6 حينئذ يكون الاختيار:
6+10=16 / 16+10=26 / 26+10=36 / 36+10=46 / 46+10=56 / 56+10=66
66+10=76 / 76+10=86 / 86+10=96.

ج /الأسلوب القصدي: وهو أسلوب يقوم الباحث باختيار مفرداتها بطريقةتحكمية لا مجال فيها للصدفة بل يقوم هو شخصيا باقتناء المفردات الممثلة،وهذاالإدراكه المسبق ومعرفته الجيدة لمجتمع البحث ولعناصره الهامة .

مـزايا العـينة:

-الاقتصاد في التكاليف.
-الاقتصاد في الوقت.

-الاقتصاد في الجهد البشري.
-التوصل إلى نتائج بأسرع وقت.

العيـوب:

-الخطأ في اختيار العينة يؤثر في نتائج البحث.
-حجم العينة في بعض الأحيان يؤثر علىنتائج البحث.
-في بعض الأحيان تحدث أخطاء نتيجة ردود فعل العينة التي يقومالباحث بدراستها.
-اختيار العينة في بعض الأحيان لا يتناسب مع نوعية الدراسةومستواها.

أهميـة المعاينـة:

إنالمعاينة في حياة الإنسان نشاط عادي،فكل واحد منا يقوم بهذه العملية يوميا، خاصةأثناء اقتنائه لحاجاته المختلفة من الأطعمة والألبسة...وغيرهما،حيث لا يقدم الشخصعلى عملية الشراء إلا بعد معاينة جزء منها فوق طاولات الباعة،أو في واجهاتالمحلات...الخ.حتى يتأكد من سلامتها الاستعمالية،وتوافقها مع رغبته الشرائية،ومنهنا نرصد عدة مهام لتقنية العينة وهي:

*اعتماد طريقة العينة في البحث له دواعيعلمية بحتة،لأن دراسة جميع مفردات المجتمع في حالات معينة يؤدي بالباحث إلى الوقوعفي الخطأ،نتيجة تعقد العمليات على هذا المستوى،وضخامة المجهودات اللازمةلذلك.

*اعتماد أسلوب العينة في انجاز بعض البحوث يعد أمرا لابد منه،من أجل ضمانالدقة المطلوبة لنتائج البحث.

*توظف أساسا في اختيار مفردات مجتمع البحث ذاتالتمثيل الكبير له.

*بناء نماذج مصغرة من المجتمع الكلي بغية الوصول إلى نتائجقابلة للتعميم على المجتمع المستخرجة منه.

*تسمح بالحصول في حالات كثيرة علىالمعلومات المطلوبة مع اقتصاد ملموس في الموارد البشرية الاقتصادية وفيالوقت.

*عدم الابتعاد عن الواقع المراد معرفته لذلك يلجأ عادة في العلومالاجتماعية لهذه التقنية وهكذا يمكن الحصول على معلومات دورية،فلو لجأنا إلى المسحالشامل لما أمكننا الحصول على نفس المعلومات إلا بعد سنتين أو ثلاث، مما يفقدهاقيمتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

*إحدى الدعائم الأساسية للبحثالامبريقي.

خـــــلاصـــــــــة:

إن استخدام العينات فيالبحوث الاجتماعية يتطلب الانتباه إلى عدة نقاط نظامية تتعلق بأطر و وحدات و أنواعو حجوم العينات و المنطقة أوالمناطق الجغرافية التي تنفي منها إضافة إلى تحديد درجةتمثيلها لمجتمع البحث الذي اختيرت منه و الأخطاء المعيارية الداخلة فيها ، و تصميمالعينة يعتمد على موضوع البحث الذي يعزم الباحث القيام به و يعتمد على دقةالمعلومات التي يقوم الباحث بتحقيقها في بحثه. إضافة إلى اعتمادها على طبيعة السكانالمبحوث أي كون مجتمع البحث متجانسا أو كونه كبيرا أو صغيرا من ناحية حجمه. و أخيرايعتمد على الإمكانيات المادية و البشرية و الزمنية المتيسرة للباحث.

قـــائـــمـــــة المـــراجـــــع:

1/الدكتور أحمد بن مرسلي ، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الإتصال. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،2005.

2/الدكتور فضيل دليو، أسس البحث وتقنياتهفي العلوم الاجتماعية. قسنطينة: ديوان المطبوعات

الجامعية،1997.
3/الدكتورفضيل دليو، أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية.قسنطينة: دار البحث ، 1999
4/علي عبد الرزاق إبراهيم،عبد الهادي أحمد الجوهري،المدخل إلىالمناهج وتصميم البحوث الاجتماعية.الاسكندرية:المكتب الجامعيالحديث2002

أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي

هناك الكثير من الدراسات العلمية التي تعتمد على إحدى أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي، وذلك للحصول على البيانات والمعلومات التي تساعد في الوصول الى استنتاجات وحلول علمية سليمة.

ويتم استخدام هذه الادوات لجمع المعلومات من المجتمع او العينة الدراسية، بالشكل الذي يساعد على تفسير النقاط الغامضة أو اكتشاف الحلول والاستنتاجات المهمة للعلم والمجتمع.

وتتأثر جودة المعلومات بحسن اختيار الأداة المناسبة لموضوع البحث وللمعلومات المطلوب جمعها، كما انها تتأثر باختيار عينة الدراسة بشكل سليم، وبقدرات الباحث وامكانياته والظروف التي يعمل بها.اختيار أداة جمع المعلومات في البحث العلمي:

هناك العديد من الدراسات والبحوث العلمية التي تحتاج الى جمع المعلومات بشكل مباشر من عينة الدراسة، وعبر إحدى أدوات البحث العلمي.

وفي هذه الحالة فإن نجاح الدراسة يستلزم بداية اختيار العينة الدراسية بالشكل السليم، فيكون اختيار موضوعي منطقي وحيادي، بعيد عن أية ميول شخصية أو اعتبارات مجتمعية، لتكون العينة معبرة بشكل سليم عن مجتمع البحث.

كما ان هذه العينة يجب أن تكون بحجم يتناسب مع حجم مجتمع البحث، وملائم للمعلومات والبيانات المطلوب الحصول عليها.

إن الباحث العلمي بعد أن يحدد عينة البحث يتجه الى اختيار الاداة الدراسية المتناسبة مع موضوع البحث والمعلومات المطلوب جمعها، بحيث تعطيه أدق التفاصيل والبيانات التي تساهم في الوصول الى الاستنتاجات السليمة.

كما انه وفي بعض الأبحاث قد يستخدم الباحث أكثر من اداة دراسية في نفس البحث، وفي جميع الأحوال يفترض منه تحديد الاداة المناسبة لجمع المعلومات بشكل مسبق.

أهم أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي:

لكل من يبحث عن أكثر أدوات جمع البيانات استخداماً في البحث العلمي، فإننا سنسعى في فقراتنا القادمة الى تقديم أهم المعلومات عن مختلف هذه الأدوات وكيفية استخدامها، مع الإشارة الى أبرز مميزاتها وعيوبها.

أولاً- الاستبيان (الاستبانة، الاستقصاء):

عند الحديث عن أهم أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي وأكثرها استخداماً فمما لا شك فيه فإن هذه الأداة تأتي في المقدمة، وذلك لما تملكه من مميزات كالتكاليف البسيطة، والسهولة الكبيرة في استخدامها حتى في حال كان حجم عينة الدراسة ضخماً جداً.

وبالخصوص مع عالمنا التكنولوجي الحالي الذي جعل من استخدامها أمراً في غاية السرعة والسهولة، حيث أصبح ممكناً إرسال الاستبيان لعينة الدراسة والحصول على الإجابات منها عبر البريد الالكتروني، او عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي، او عبر العديد من الطرق الأخرى.

وذلك بعد أن كان الباحث العلمي مسبقاً يحتاج أن يقدم استمارة الاستقصاء بشكل مباشر، وأن يحصل عليها بشكل مباشر كذلك، او في أحسن الأحوال كان يستطيع ارسالها بالبريد العادي الذي يحتاج الى الكثير من الوقت.

ما هو الاستبيان في البحث العلمي:

يسمى الاستبيان من بعض الباحثين "الاستقصاء" كما يطلق عليه آخرون "الاستبانة"، ويقصد به الاستمارة التي تحتوي على سؤال أو مجموعة أسئلة تنتمي لأحد أنواع الاستبيان.

يقوم الباحث بصياغة أسئلة الاستبيان، ويقدمها الى الأفراد الذين يشكلون عينة الدراسة المحددة مسبقاً، وبعد ذلك يجيب كل فرد من افراد العينة على اسئلة الاستمارة ويعيدها الى الباحث العلمي.

الذي يقوم بترتيبها وتنظيمها ودراستها وتحليلها، حتى يصل الى الاستنتاجات المنطقية السليمة، التي تبنى عليها نتائج البحث العلمي.

خطوات تصميم الاستبيان:

1. **إن الخطوة الأولى تكون من خلال تحديد الموضوع العام للدراسة العلمية، وما ينبثق عنها من مواضيع فرعية، وبناءً على هذا التحديد يقوم الباحث العلمي بتحديد ماهية المعلومات والبيانات المطلوبة وكيفية جمعها، وهل الاستبانة هي الأفضل للوصول الى المعلومات المطلوبة.**
2. **تحديد مجتمع البحث والعينة الدراسية التي تعبر عن مجتمع البحث وتتناسب مع حجمه.**
3. **تحديد نوع الاستبيان وبناءً على هذا النوع تتم صياغة الاسئلة وترتيبها، بحيث تغطي مختلف مباحث الدراسة، مع ضرورة ان تكون اسئلة واضحة ومفهومة وغير مكررة.**
4. **عرض أسئلة الاستبيان على عدد محدد من أعضاء عينة الدراسة، للتأكد من خلال هذه الخطوة التجريبية من أن الاستبيان يحقق الهدف المطلوب منه او تعديله للوصول الى مثل هذا الهدف، وبعد ذلك تعتمد الصيغة النهائية لاستمارة الاستبيان.**
5. **توزيع الاستقصاء بصيغته الأخيرة على أفراد عينة الدراسة، وذلك وفق الطريقة التي يراها الباحث العلمي كأن تكون عبر البريد الالكتروني على سبيل المثال، والتأكد من وصوله الى المستجيبين.**
6. **إعادة أفراد عينة الدراسة الاستمارة بعد الاجابة على الاسئلة الموجودة فيها، والتأكد من أن المستجيبين الذين قاموا بالإجابة يشكلون النسبة الأكبر.**
7. **ترتيب وتنظيم الاجابات التي حصل عليها الباحث العلمي ثمّ تحليلها ليصل الى استنتاجات منطقية سليمة.**

أنواع الاستبيان في البحث العلمي

كما ان أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي تصنف ضمن عدة تصنيفات رئيسية من ضمنها الاستبيان، فإن للاستبيان عدة أنواع فرعية هي:

- **الاستبانة المفتوحة (الحرة):**

ووفق هذا النوع للاستبيان تتألف الاستمارة التي يصممها الباحث العلمي من سؤال أو مجموعة أسئلة، تكون الإجابة عليها من المستجيبين مفتوحة وحرة.

حتى أن أفراد العينة الدراسية يستطيعون الاسترسال وتبيان السبب الذي جعلهم يجيبون بتلك الطريقة، وذلك دون أي تدخل من الباحث العلمي في إجابات المبحوثين.

وبالرغم من ان هذا النوع من أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي يقدم بيانات دقيقة، لأنه يترك المبحوث يجيب بحريته، إلا أن استخدام الاستبيان المفتوح قليل، وبالخصوص مع صعوبة جمع الاجابات وتنظيمها وترتيبها وتحليلها، لأنها تكون إجابات طويلة في أغلب الأحيان.

- **الاستبانة المقيدة (المغلقة أو المحددة):**

ووفق هذا النوع من انواع الاستبيان فإن الباحث العلمي يقوم بصياغة سؤال أو أسئلة الاستبيان مع تحديد إجابات محددة لكل منها، ولا يترك للمستجيب حرية الإجابة، فهو ملزم باختيار أحد الاجابات المتروكة ضمن الخيارات.

وعلى الرغم من أنها ليست من الأنواع التي يحبها المستجيبون لأنهم لا يجيبون فيها بحريتهم، ولكنها أكثر انواع الاستبيان استخداماً في البحث العلمي، وخصوصاً مع سهولة ترتيبها وتوثيقها وتحليلها.

ومن الامثلة التي يمكن ان نطرحها عن هذا النوع من الاستبيان، أن يختار المبحوث بين إجابتين (نعم او لا)، (أوافق، لا أوافق، لا أهتم)، (احتمال حصول حرب كبير، احتمال حصول حرب قليل، لا أعرف).

- **الاستبانة المغلقة المفتوحة (المتعددة):**

وهي الاستبانة التي تجمع بين النوعين السابقين ولذلك سميت متعددة، حيث تحتوي سؤال او أكثر تكون اجابة المبحوث فيها حرة ومفتوحة، كما تحتوي سؤال أو عدة أسئلة تكون اجابات المبحوث فيها مقيدة ومحددة بإجابات معينة.

- **الاستبانة المصورة:**

وهي التي تقدم للأطفال الذين لا يجدون القراءة والكتابة او للأمين على سبيل المثال، وتعتمد على الصور التي يفهمها أفراد العينة الدراسية.

بحيث يختارون الصورة التي تتلاءم مع السؤال الذي يمكن ان يلقى عليهم بالصوت ليختاروا الصورة من مجموعة صور، كل منها يخص خيار معين، وبناءً على هذه الصور يعيد الباحث تدوين الإجابات وتصنيفها ودراستها وتحليلها.

مميزات الاستبيان كأداة للبحث العلمي:

إن توجه النسبة الاكبر من الباحثين العلميين الى استخدام الاستبيان كأداة في دراستهم البحثية لم يأتي من فراغ، وإنما للميزات المهمة التي تقدمها الاستبانة للدراسة العلمية، وأبرز هذه المميزات نذكر:

1. إن الاستبيان هو أقل أدوات البحث العلمي حاجة للتكاليف العلمية، ومع عالمنا التكنولوجي قد لا يحتاج الباحث أكثر من إرسال استمارة الاستبيان عبر إحدى الوسائل الالكترونية، والحصول على الاجابات بنفس الطريقة دون تكاليف حقيقية تذكر.
2. يعتبر من أكثر أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي قدرة على التعامل مع العينات البحثية الكبيرة، حيث يمكن أن يقوم الباحث بإرسال النسخ في نفس الوقت الى أشخاص كثيرين، ويحصل على إجاباتهم خلال مدة بسيطة.
3. يمكن لهذه الأداة الوصول الى أفراد عينة الدراسة بسهولة وسرعة، حتى إن كان تواجدهم في مناطق بعيدة عن بعضها البعض جغرافياً، وذلك عبر استخدام إحدى الوسائل التكنولوجية.
4. تمنح الاستبانة المستجيب حرية الاجابة على الأسئلة في الوقت الذي يريده وبأي مكان يتواجد فيه، وبهذا راحة نفسية وجسدية للمبحوث الذي لا تقع على عاتقه اية ضغوط.

5. تمنح هذه الأداة للمبحوث الراحة التي يحتاج اليها للمحافظة على أسراره الشخصية، فهو قد لا يكون مضطراً على التصريح عن اسمه، ويمكن حتى إن صرح عن شخصه للباحث ان يطلب منه بقاء هويته مكتومة.

عيوب الاستبيان كأداة في البحث العلمي:

1. هناك العديد من أفراد عينة الدراسة الذين قد يتعاملون باستخفاف واستهتار مع اسئلة الاستبانة، فيجيبون بطريقة هزلية، أو بإجابات غير صحيحة، مما يؤثر على نتائج الاستبيان وبالتالي استنتاجات البحث العلمي.
2. إن بعض أفراد العينة الدراسية قد لا يفهون الاسئلة الواردة بالاستبيان بشكل سليم، مما يؤثر على دقة اجاباتهم.

نصائح حول صياغة أسئلة الاستبيان:

1. صياغة اسئلة الاستبيان بشكلواضح ومناسب لفكر ومستوى أفراد العينة الدراسي.
2. عدم استخدام الاسئلة المطولة التي تصيب المبحوث بالملل أو التعب مما يدفعه الى الاستعجال والإجابة بشكل عشوائي.
3. عدم استخدم المصطلحات أو التعابير الغير مفهومة والتي تحتمل عدة تفسيرات.
4. من الافضل بدء الاستبيان بالأسئلة السهلة، ثمّ التدرج شيئاً فشيئاً نحو الأسئلة الأصعب فالأصعب.
5. في حال وجود أسئلة عامة وأخرى شخصية تكون البداية بالأسئلة العامة ثمّ الانتقال الى الاسئلة الشخصية.
6. على الباحث تخصيص كل سؤال لمعالجة موضوع معين، وعدم جمع المواضيع بسؤال واحد.

ثانياً- المقابلة:

تعتبر المقابلة إحدى أبرز أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي، حيث تعتمد على اللقاء بين الباحث العلمي وأفراد عينة الدراسة.

علماً أن هذا اللقاء قد يتم بصورة جماعية مع عدد من أفراد عينة البحث أو معهم جميعاً، كما يمكن ان يتم بشكل فردي مع كل شخص منهم على حدة، وذلك وفق ما يقرره الباحث الذي يحدد كذلك مكان وزمان اللقاء.

يمكن ان تتم المقابلة بتواجد الباحث والمبحوث بالمكان نفسه، كما يمكن في عالمنا الحالي استخدام إحدى الوسائل التكنولوجية كالسكايب على سبيل المثال.

ومن خلالها يطرح الباحث العلمي الأسئلة المعدة من قبله مسبقاً، على أفراد عينة الدراسة، ويتلقى إجاباتهم، ويتعرف على ردود فعلهم.

ويتم التوجه لاختيار المقابلة كأداة جمع المعلومات في البحث العلمي عندما تكون البيانات المطلوب جمعها حاصلة في مواقف معينة، بحيث يريد الباحث أن يحصل على إجابات عن هذه الأسئلة وفي نفس الوقت التعرف على ردود فعل المبحوثين وتصرفاتهم ومشاعرهم المباشرة عند طرح كل سؤال.

بحيث يقوم بتدوين ردود الفعل كما يقوم بتدوين الإجابات، ولكلا الامرين دور عند الدراسة والتحليل في الوصول النتائج المنطقية السليمة.

خطوات تصميم المقابلة:

1. إن الخطوة الاولى تكون بعد تحديد مشكلة البحث العلمي، واختيار المقابلة كأكثر أداة مناسبة بين أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي، وبأنها الاكثر قدرة على منح البيانات الدقيقة للباحث.

2. اختيار العينة الدراسية التي تعبر عن مجتمع البحث (كما ذكرنا في فقرة سابقة) والتي سيتم اجراء المقابلات معها.
3. تحديد أهداف إجراء المقابلة والمعلومات والبيانات التي يفترض الحصول عليها من عينة الدراسة.
4. اختيار الزمان والمكان لإجراء المقابلة او كيفية القيام بها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
5. قيام الباحث العلمي بإعداد اسئلة المقابلة التي سيطرحها على المبحوثين، ويخطط لوقت الإجابة الممنوحة لهم على ان لا يكون وقتاً ضيقاً، على أن تكون هذه الاسئلة مفهومة وتتناسب مع مستوى وثقافة أفراد العينة البحثية.

وبهذه المرحلة تظهر إبداعات ومعارف وخبرات الباحث، وهي مرحلة تحتاج الى الهدوء والكثير من الدقة، والى الثبات العلمي والمصداقية والأمانة العلمية.

6. اجراء المقابلة وفق المكان والزمان المحدد مع الباحث الذي يتعامل باحترام مع أفراد عينة الدراسة، ويعاملهم بتواضع وفق أخلاقيات البحث العلمي، ويقدم لهم ما يحتاجون اليه من معلومات حول هدف وغاية دراسته.
7. القيام بالمقابلة مع منح المستجيب ما يحتاجه من وقت للإجابة والتوضيح، كما أن الباحث يتجنب اجهاد المستجيبين بالكثير من الاسئلة المبالغ بها.
8. يقوم الباحث العلمي بتدوين اجابات المستجيبين وردود افعالهم ومشاعرهم، ليقوم بعد انتهاء المقابلات بدراستها وتحليلها وصولاً الى النتائج المطلوبة.

أنواع المقابلة في البحث العلمي:

يمكننا تقسيم المقابلات في البحث العلمي الى نوعين رئيسيين، يتفرع منهما انواع فرعية وفق الشكل التالي:

1. المقابلة وفق أسلوب إجراءها:

1. المقابلة الفردية التي تكون مع كل مستجيب لوحده بصورة إفرادية.
2. المقابلة الجماعية التي تتم مع عدة أفراد من عينة الدراسة في نفس الوقت، او تقسيمهم الى مجموعات وإجراء مقابلات مع كل مجموعة على حدة، او القيام بمقابلة جماعية واحدة مع جميع افراد العينة الدراسية.
3. المقابلة المباشرة وهي التي تتم بوجود الباحث والمبحوث في المكان ذاته، والقيام بمقابلة وجهاً لوجه بينهما بحيث يطرح الباحث الاسئلة التي يجيب عنها المستجيب.
4. المقابلة باستخدام التكنولوجيا الحديثة، وقد انتشرت هذه المقابلات بشكل كبير بحيث تسمح للباحث والمبحوث اجراء المقابلة بكل سهولة بغض النظر عن التباعد الجغرافي عبر استخدام إحدى الوسائل التكنولوجية كمكالمة الفيديو عبر الماسنجر أو الواتساب.

2. المقابلة وفق أسلوب الإجابة:

1. المقابلة المفتوحة التي يسمح فيها الباحث للمبحوث ان يجيب بكامل حريته ويعطيه كامل الوقت للإجابة، دون أن يقاطعه حتى وإن استطرد المبحوث حول سبب إجابته.

وهي من الأساليب التي تمنح معلومات دقيقة لكنها صعبة في الترتيب والتنظيم والتحليل، وتحتاج الى الكثير من الوقت.

2. المقابلة المغلقة أو المقيدة التي يضع الباحث أمام المبحوث إجابات محددة عليه الإجابة من ضمنها دون أي توسع او شرح، كأن تحصر الإجابة بين (نعم، لا) (أعارض، أؤيد، لا اهتم) (أوافق، لا أوافق، أوافق بشروط) وغيرها من الاجابات المقيدة المماثلة.
3. المقابلة المتعددة وهي التي يسمح فيها الباحث للمبحوث أن يجيب بحريته على أسئلة المقابلة، مع إمكانية المقاطعة في أي لحظة والاكتفاء بما سمعه من إجابة، عندما يشعر الباحث أنه وصل الى الاجابة التي يبحث عنها.

مميزات المقابلة كأداة للبحث العلمي

1. إن تعرف الباحث العلمي على ردود فعل ومشاعر المستجيبين، وملاحظة انطباعاتهم عندما يطرح الأسئلة البحثية، يساعد في اكتشاف رأيهم الحقيقي، وبالتالي تزداد موثوقية نتائج البحث، باعتبار المقابلة من أكثر أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي قدرة على منح البيانات الدقيقة.
2. في حال لم يفهم المستجيب أي سؤال من الاسئلة المطروحة عليه، يستطيع الاستفسار عن معناه من الباحث لأن اللقاء مباشر بينهما، وفي نفس الوقت يمكن للباحث الاستفسار من المبحوث من نقطة معينة بالإجابة ليتأكد من فهمه لها بالشكل السليم.
3. تسمح المقابلة للباحث العلمي أن يطلع على مستوى المبحوث وظروفه الشخصية أو البيئية.
4. تسمح المقابلات للباحث بتحديد مكانها وزمانها بالشكل الذي يتناسب معه.

عيوب المقابلة كأداة للبحث العلمي:

1. تعتمد المقابلة بشكل كبير على أفراد عينة الدراسة ومدى تجاوبهم واقتناعهم بأهمية الدراسة، وبقيمة عمل الباحث العلمي.
2. تعتبر أداة مكلفة مادياً عند مقارنتها بالاستبيان، وبالخصوص في حال إجراء المقابلات المباشرة دون الاستعانة بالوسائل التكنولوجية.
3. تعتبر من الأدوات التي تحتاج لمدة زمنية أكبر من الاستبيان للقيام بها وإجرائها، وتزداد صعوبتها وحاجتها للوقت مع كبر حجم عينة الدراسة.

ثالثاً- الملاحظة:

إن الملاحظة في البحث العلمي تطلق على مشاهدات الباحث العلمي ومراقبته لإحدى الظواهر او الإشكاليات التي يتناولها موضوع دراسته، والتي يتبع فيها أسلوب دقيق ومنظم يساعده على جمع البيانات والمعلومات التي يحتاجها في دراسته.

حيث تساهم البيانات التي تمّ جمعها بشكل فعال بالإحاطة بالظاهرة وفهمها بالشكل الدقيق الذي يوصل الى استنتاجات ونتائج وحلول منطقية.

وبناءً على ما ذكرناه يمكن أن نعرّف الملاحظة في البحث العلمي على أنها الخطوة التي يقوم الباحث العلمي من خلالها بالتدقيق والانتباه على مشكلة أو ظاهرة علمية، للتقصي والتحري الدقيق عنها، وبالتالي الإحاطة بها وفهمها، وإدراك جميع المتغيرات الخاصة بها، بما يساهم بالوصول الى النتائج والحلول السليمة

مراحل إجراء الملاحظة في البحث العلمي

1. إن المرحلة الأولى تكون مع تحديد ظاهرة ومشكلة البحث العلمي، والتي يجد الباحث العلمي أن الملاحظة هي أفضل أداة من أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي، وأكثرها قدرة على الوصول الى البيانات الدقيقة المرتبطة بهذه المشكلة البحثية.
2. تحديد الهدف من الملاحظة والمجال الخاص بها والحدود المكانية والزمانية لها.
3. إعداد البطاقة الخاصة بالملاحظة، والتي سيقوم الباحث العلمي بتسجيل الملاحظات والبيانات التي قام بجمعها عليها.
4. التأكد من صدق المعلومات والبيانات التي تمّ جمعها من الملاحظة، ويكون ذلك عبر التكرار والإعادة لها أكثر من مرة، والمقارنة بين الملاحظات المدونة مع تكرار الملاحظة.
5. التسجيل الفوري المباشر لما يقوم الباحث العلمي بملاحظته.

قواعد الملاحظة الجيدة:

1. الوصول الى المعلومات والبيانات التي تكفي لحل البحث موضوع الدراسة.
2. تحديد الأهداف لاستخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات.
3. تحديد الأدوات والطرق والوسائل الملائمة لتسجيل الملاحظة.
4. الدقة وعدم التسرع في الملاحظة والوصول الى النتائج.
5. تحديد الخصائص للمعلومات الواجب ملاحظتها.
6. العمل على إجراء الملاحظة دون انتباه المبحوثين لتبقى تصرفاتهم على سجيتها وبالتالي الحصول على المعلومات المنطقية السليمة.
7. تسجيل الملاحظات بشكل فوري كي لا ينسى الباحث أية بيانات.
8. تدوين الملاحظات وعدم تفسيرها بشكل مباشر، وإنما بهدوء في وقت لاحق.

مميزات الملاحظة كأداة للبحث العلمي

إن اعتماد الملاحظة من بين ادوات جمع المعلومات في البحث العلمي تحقق الفوائد التالية:

1. تعتبر من أكثر الادوات التي تساعد الباحثين العلميين على أن يفهموا مشكلة أو ظاهرة البحث العلمي بشكل عميق وسليم، كما تساعدهم بالحصول على بيانات البحث الدقيقة من مصدرها.
2. إن بعض التخصصات العلمية وبالخصوص المرتبط منها بالعلوم الانسانية أو الاجتماعية أو الطبيعية تعتمد على الملاحظة كأداة رئيسية لجمع معلومات وبيانات البحث العلمي.
3. إن حجم عينة الدراسة في الملاحظة يكون في معظم الأحيان اقل من باقي أدوات البحث العلمي، مما يجعل مهمة المراقبة والملاحظة اكثر سهولة.
4. يمكن للباحث العلمي الذي يعتمد على الملاحظة كأداة لدراسته العلمية ان يمتلك حرية كبيرة بالتكيف مع اعادة صياغة فروض دراسته بما يتوافق مع الموقف والنشاط البحثي.
5. لا تشعر عينة الدراسة بوجود من يراقبها فتتصرف على سجيتها ولا تغير تصرفاتها، وهذا ما يجنب عينة الدراسة الإحراج ويعطي نتائج دقيقة وصادقة للغاية.

عيوب الملاحظة كأداة في البحث العلمي:

1. هناك العديد من الامور أو الأحداث قد تحصل خلال فترة الملاحظة، وتؤثر على الباحث بحيث تشغله عن مهمته البحثية، وبالتالي تفوته فرصة الملاحظة الدقيقة.
2. إن العوامل الخارجية مثل ظروف الباحث الشخصية أو العوامل الجوية والطقس قد تؤثر على القيام بالملاحظة بشكل مريح ودقيق.
3. إن إجراء الملاحظة يبقى مرتبط بمكان معين، على اعتبار أن الباحث العلمي لا يمكن ان يتواجد في عدة امكان بالوقت واحد، مما يجعلها من الأدوات التي تحتاج الى مال أكثر، والى وقت وجهد أكبر من باقي الأدوات، وخصوصاً في حال تنقل الباحث الى أماكن بعيدة أو يصعب التواجد فيها.
4. تتأثر جودة الملاحظة كثيراً بخبرة الباحث وفطنته وقدرته على الملاحظة الدقيقة لأمور قد لا يستطيع الآخرون الانتباه اليها.

رابعاً- المصادر غير المباشرة:

يقصد بالمصادر الغير المباشرة مختلف الأوعية التي يستقي منها الباحث العلمي معلوماته وبياناته البحثية، ومنها على سبيل المثال أهل الخبرة والعلم.

ومنها كذلك الدراسات السابقة ومختلف المصادر والمراجع التي تضم الكتب والبحوث والرسائل العلمية، والمقالات والتقارير والأوراق والوثائق وغيرها الكثير من المصادر التي خصصنا لها العديد من المقالات على اعتبارها أكثر أدوات جمع المعلومات في البحث العلمي استخداماً في معظم التخصصات.

المحاضرة الأولى: البحوث الكمية

محتوى المحاضرة:

- مقدمة
- مفهوم البحث الكمي
- المعايير الأساسية للبحوث الكمية
- خصائص البحوث الكمية
- انتقادات البحث الكمي

أهداف المحاضرة:

- معرفة الطبيعة الإبستيمية والمنهجية للبحث الكمي الذي يلتبس مفهومه مع مفهوم البحث الكيفي عند الكثير من الطلبة.

مقدمة:

تعتمد الدراسات في معالجة مختلف الظواهر على أساليب مختلفة قصد الوصول الى الأهداف المحددة ، فالوصول إلى هذه الأخيرة تستدعي من الباحث اختيار المنهج والأداة والوسائل التي تتلائم مع الظاهرة المراد معالجتها، إذ يلجأ الباحث في خضم ذلك إلى اختيار نوع البحث الملائم وطريقة التحليل المناسبة إن كانت كمية أو كيفية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الاختيار لن يكون اعتباطيا ولا بصورة عفوية بل انطلاقا من هدف الدراسة تحديدا ، وأيضا من مدى تحكم الباحث في مختلف المداخل النظرية.

ويعتمد كل من البحث الكمي والكيفي على إستراتيجية محددة وعلى تقنيات بحث خاصة ويرتكز ذلك على نوعية البيانات المراد الحصول عليها وهدف الباحث منها، وهذا ما سيتطرق إليه في هذه المحاضرة، ونبدأ بالبحوث الكمية.

1.مفهوم البحث الكمي :

التعريف الأول: البحث الكمي هو استقصاء منظم يتضمن تحليل إحصائي وصفي استنتاجي للقياس الكمي للظاهرة موضوع الدراسة.

التعريف الثاني: هي البحوث التي تهتم بالتحقق العلمي المنهجي للظواهر وتستخدم الأرقام في تحليل بياناتها، وتخضع لشروط الصدق والثبات وتعالج بياناتها إحصائيا ويمكن تعميم نتائجها على المجتمع الأصلي.(ماهر أبو المعاطي علي ،2014،ص 133)

2. المعايير الأساسية للبحوث الكمية:

أشار الباحثين في مجال المنهجية إلى أن المعايير التي يعتمد عليها البحث الكمي، هي نفسها تلك التي تقوم عليها "الوضعية" و التي تتمثل أساسا في:(فارع، 2017، ص ص104-106)

أ- إدراك الواقع: من مميزات المنهجية الكمية أنها تنظر إلى الواقع بوصفه شيئا موضوعيا و بسيطا و ثابتا و يتكون الواقع من انطباعات حسية تدركها الحواس و حدها، كما أن هناك واقعا واحدا في الطبيعة و حقيقة واحدة أيضا و الواقع مستقل عن الوعي الإنساني ويرتكز على نظام تحكمه قوانين طبيعية صارمة و ثابتة و تساعد معرفة هذه القوانين في التحكم بمخرجات الفعل البشري والتنبؤ بها، يعرف جميع أفراد المجتمع الواقع بالطريقة نفسها لأن الأشياء تولد المعاني نفسها و الناس يرونها و يسمونها بالطريقة نفسها.

ب- إدراك الإنسان: البشر أفراد عقلانيون تحكمهم قوانين اجتماعية و يدرس سلوكهم بالملاحظة و تحكمه أسباب خارجية تؤدي إلى نتائج ثابتة (الأسباب نفسها تؤدي إلى النتائج نفسها)، و يشكل البشر وفقا لعالمهم الاجتماعي على نحو ما تحكم العالم المادي قوانين ثابتة، فهم يخضعون لأنماط حياتية ثابتة يمكن ملاحظتها تجريبيا (أطروحة التفكير المقنن)، ليست هناك إرادة حرة، لكن العالم على الرغم من ذلك ليس حتميا و الأسباب تؤدي إلى نتائج تحت أوضاع معينة و يمكن التحكم بالتنبؤات عند توافق هذه الأوضاع.

ج – طبيعة العلم الاجتماعي:هنا يكون العلم الذي هو أداة تحصيل المعرفة:

- مرتكزا على قواعد و إجراءات صارمة و هو يختلف جذريا عن التأمل و البصيرة و الفهم الشائع أو الحس السليم.
- استدلاليا ينتقل من العام / المجرد إلى المحدد /الملموس
- مقننا يرتكز على قوانين سببية كونية تؤثر في مجرى الحوادث و العلاقات الاجتماعية.
- معتمدا على المعرفة التي نحصل عليها نتيجة خبرات الحواس و تعد مصادر المعرفة الأخرى غير موثوق بها، ذلك أن الملاحظة و الخبرة أساس المعرفة و تكون مهمة الباحث اكتشاف القوانين العلمية التي تفسر سلوك الإنسان باستخدام الطرائق الكمية التي تشبه الطرائق المستخدمة في العلوم الطبيعية.

د – غرض البحث الاجتماعي: ينظر الباحث الكمي إلى البحث الاجتماعي بطريقة أذاتية بوصفه أداة لدراسة الحوادث الاجتماعية و معرفتها و معرفة العلاقات في ما بينها لنتمكن من اكتشاف القوانين السببية العامة و تفسيرها و توثيقها، إن المعرفة بالحوادث و القوانين الاجتماعية تمكن المجتمع من التحكم بالحوادث و التنبؤ بوقوعها و نتائجها

3.خصائص البحوث الكمية :

تتميز البحوث الكمية بعدة خصائص تميزها عن أنماط البحوث الأخرى ومن أهم تلك الخصائص:

الخاصية الأولى: تستهدف التنبؤ واختبار الفروض المحددة مسبقا، معتمدة على فكرة العد والبحث وعن الارتباطات بين الظواهر المادية التي تقبل القياس والملاحظة من الخارج، والتأكيد على الطابع الكمي للمتغيرات التي تُكون مشكلة البحث.

الخاصية الثانية: إن الباحث في البحوث الكمية قد يكون منفصل ومتباعد وليس له أي دور في العملية البحثية ذاتها معتمدا على قياس الحقائق الموضوعية ومؤكدا على أن للحقيقة وجه كمي، بما تقدمه تلك البحوث من أرقام وجداول ونسب مئوية ومعاملات إحصائية وفقا لطبيعة البيانات.

الخاصية الثالثة: تعتمد هذه البحوث على الإستنباط وتهتم بتطبيق النظرية على الواقع، مع محاولة لتحليل عناصر مشكلة البحث إعتمادا على أدوات لجمع البيانات كالمسح الاجتماعي، المقابلات المقننة، إحصاء البيانات.

الخاصية الرابعة: أن إمكانية تعميم النتائج واردة بدرجة كبيرة، وإعتمادها على تصميم تجريبي أو شبه تجريبي كطريقة نموذجية للتحقق من صدق المعرفة.

الخاصية الخامسة: تستند إلى الفلسفة الوضعية المنطقية والتي لا تقبل أي قضية إلا إذا ثبت صحتها بالرجوع إلى الواقع الأمبريقي للتحقق من صدق المعرفة.(ماهر أبو المعاطي علي،2014 ، ص ص138،139)

4. انتقادات البحث الكمي:

تتجلى الانتقادات التي وجهت إلى المنهج الكمي، في الانتقادات التي وجهت إلى الأنموذج الوضعي، و منه فإن نقد المنهج الكمي هو نقد للوضعية، ويمكن تلخيص هذه الانتقادات من خلال النقاط التالية:(سوتيريوسسار انتاكوس، 2017 ،ص ص108-110).

– **الواقع**: يعرف المنهج الكمي الواقع بأنه موضوعي و هذا خطأ لأن الواقع ليس موضوعيا بل فعلا اجتماعيا مفسرا.

– **المعاني**: يعطي هذا المنهج أهمية فائقة للقياس الكمي على الرغم من أنه يؤدي أحيانا إلى "معان" أقرب إلى المعتقدات منها إلى تلك الكامنة في الواقع.

– **الفرضيات**: تؤدي الفرضيات التي تصاغ قبل بداية البحث إلى تحيز في مجريات البحث كما أنها تحد من خيارات البحث وتفرض على أراء المبحوثين أو مقاصدهم التي ما كانوا ليفحصوا عنها في غياب هذه الفرضيات.

– **المظهر و الجوهر**:لا يستطيع المنهج التجريبي التمييز بين مظهر الحوادث الاجتماعية و جوهرها، فهو يتجاهل جوهر الحياة ويدرس "المظاهر" فحسب و يفترض أن الظاهر هو الواقع.

– **الوضع الراهن**:يستخدم منظورا نظريا و نوعا من البحث يدعمان الوضع الراهن و بنى السلطة القائمة.

– **طرائق البحث**:تتمتع طرائق البحث بموقع مركزي إلى حد أنها تحدد معايير البحث و بدلا من تعديل المنهج أو طريقة البحث لتنسجم مع الواقع يقوم الباحث بتعديل الواقع أو تكييفه لينسجم مع المنهج، و بدلك يقتصر البحث على ما

يمكن مقاربته بطرائق البحث المتوافرة و ما لا تمكن مقاربته بطرائق البحث الكمية يحكم عليه بأنه غير مهم و غير جدير بالدراسة فلا يدرس.

– **الباحث**: المنهج الكمي يحيد الباحثين و تأثيرهم في موضوع البحث إلى حد يختزل فيه الباحث إلى شيء مجرد، فيصبح غريبا عن العلم الذي يدرسه، يتم ذلك بإخفاء شخصية الباحث و إيجاد حالة من الانفصال تحيد خبراته و أرائه الشخصية و كذلك من خلال استخدام الطرائق و الأساليب المقننة و الدقيقة حيث يصبح الباحث مجرد فني خبير يسعى إلى تحقيق أهدافه تكنوقراطية (نابحة من خبرة) علاوة على ذلك، يصبح المبحوثون مجرد "وحدات" أو "أشياء" و يعاملون على هذا النحو و في النهاية يمنح الباحث سلطة على المبحوث.

– **المادية**: يتبنى المنهج الكمي أنموذج العلوم الطبيعية ثم يطبقه في العلوم الاجتماعية، و بذلك يتعامل مع الأفراد و كأنهم عناصر طبيعية، فيلتمس الانتظام في الحوادث الاجتماعية كما في الظواهر الطبيعية و هذه ممارسة غير مقبولة.

– **الموضوعية**: الاعتماد على الموضوعية لا مبرر له و الموضوعية ليست ممكنة و لا ضرورية و لا مفيدة لأن انطباعات الباحث وتفسيراته تتخلل سيرورة البحث من جوانب عدة و ثمة فوائد عدة للذاتية في البحث الاجتماعي ، أما الموضوعية فتؤدي إلى تجريد تكنوقراطي و بيروقراطي من الإنسانية.

– **إجراء البحث**: يستخدم المنهج الكمي تصميما دقيقا يحدد ما هو ملائم للدراسة و كيفية دراسته كما يحدد ما هو مطلوب وما له معنى أو فائدة حتى قبل الشروع في الدراسة ، و هذا يحد من خيارات سيرورة البحث و يكبت روح المبادرة و الدافعية عند الباحث و يحد من فاعلية البحث و ينتج بيانات مصطنعة لا تعكس الواقع ككل.

– **السياق**: يعتمد المنهج الكمي فصل الشيء المدروس عن سياقه حيث تصبح صفات المبحوثين متغيرات و تصبح كثافة المشاعر والمواقف مجرد أرقام و بيانات حاسوبية و مثل هذه الإجراءات تغير من بنية الحياة الاجتماعية وسيرورتها وتحول العالم إلى مختبر اصطناعي.

ورغم هذه الانتقادات التي يواجهها البحث الكمي (الوضعي) إلا أنه مازال من البحوث التي تستخدم بقوة في فهم الحياة الاجتماعية.

المحاضرة الثانية: البحوث الكيفية

محتوى المحاضرة:

- مفهوم البحوث الكيفية
- افتراضات البحث النوعي
- خصائص البحوث الكيفية
- انتقدات البحث الكيفي

أهداف المحاضرة:

- تعريف الطالب بتسميات البحوث الكيفية وشرح مفهومها.
- كشف الطبيعة الإبستيمية والمنهجية للبحوث الكيفية.

1. مفهوم البحوث الكيفية :

تعددت تسميات البحث الكيفي والتي نذكر منها؛ البحث السياقي أو الطبيعي: على أساس أنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الطبيعي، كما يسمى أيضا بالبحث التفسيري: لأنه لا يكتفي بالوصف فقط بل يتعدى ذلك للتحليل والتفسير. أما في علوم دراسات علم الانسان؛ يسمى بالعمل الميداني، ويسمى أيضا بالاثنوجرافي .(يعقوب كندرس ،2006 ، ص.25)

وتعرف البحوث الكيفية" هي نوع من البحوث العلمية التي تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بنائها من خلال وجهات نظر الأفراد، والجماعات المشتركة في البحث."(عامر قنديلجي،2008،ص45).

ويعرف أيضا "الدراسة التي يمكن إجراؤها في السياق والموقف الطبيعي، حيث يقوم الباحث بجمع البيانات أو الكلمات أو الصور ثم يحللها بطريقة استقرائية، مع التركيز على المعاني التي يذكرها المشاركون، ويتم وصف العملية برمتها بلغة مقنعة ومعبرة"

(الخياط ،2001،ص 58)

وبالتالي تهدف هذه البحوث إلى فهم الظاهرة بالأساس موضوع الدراسة و عليه ينصب الاهتمام هنا أكثر على حصر معنى الأقوال التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها.(يعقوب كندرس، 2006 ، ص.25)

ومنه نستنتج أن البحث النوعي يقوم على دراسة وقراءة البيانات والأحداث بأسلوب غير كمي، بحيث لا يتم تحويل البيانات إلى أرقام كما في حال البحث الكمي، وإنما يتم الحصول على النتائج من واقع ملاحظة وتحليل الأحداث والمواقف والوثائق والاتصالات اللفظية وغير اللفظية.

2. افتراضات البحث النوعي :

ترتكز فلسفة البحوث النوعية على أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه ولا يمكن فصله على البيئة التي يعيش فيها وهو ما يسمى بالوجود الفلسفي "انطولوجي"، وبالتالي لا يمكن فصل سلوكه عن عاداته وتقاليده، كما أن الباحث محور أساسي في عملية البحث ويعد أداة من أدواته وهو ما يسمى بالمعرفة الفلسفية " ابستمولوجي " .

3. خصائص البحوث الكيفية:

أهم خصائص تصميم البحث الكيفي هي:(عرابي عبد القادر، 2007، ص ص70- 75)

– **الانفتاح:** إذا كانت عملية البحث الكمي مقننة و محددة فإن عملية البحث الكيفي تكون مفتوحة، المناهج الكمية مغلقة و تتحكم خطوات البحث فيها بعقل الباحث، أما المناهج الكيفية فتعتبر البحث مجالا وأفقا مفتوحا أمام الباحث و المبحوث للتعديل و التطوير إن مبدأ الانفتاح يتضمن على الصعيدين النظري و المنهجي، مجموعة من النتائج و أهمها:

- التأكيد على الوظيفة الاستكشافية للبحث الكيفي.
- التخلي عن تكوين الفرضيات مسبقا
- إن البحث الكيفي يركز على البحث الميداني الاستطلاعي و هذا ما يهمله البحث الكمي غالبا.

إن البحث الكيفي هو بحث اكتشافي إلى حد ما، اكتشاف ووصف ميدان الدراسة يكون على حساب الدراسة النظرية للموضوع و هذا مأخذ على المنهج الكيفي و إن الفرضيات يعدل و يوسع بناء على البيانات التي تم الحصول عليها في عملية البحث الميداني و عليه فإن النظريات الاجتماعية و الأنثروبولوجية لها طابع دينامي، ذلك أنها تتطور في أثناء عملية البحث على أساس البيانات القائمة.

– **البحث بوصفه متفاعلا:**إذا كانت مناهج البحث الكمي تؤكد على المسافة بين الباحث و المبحوث في عملية البحث، فإن المناهج الكيفية بخلاف ذلك تؤكد على أن عملية البحث ينبغي أن تكون عملية تفاعلية بين الباحث و بين الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافة معينة.

– **الطابع الديناميكي بين البحث و الموضوع:** إن فهم البحث عملية تفاعل و اتصال بين الباحث و المبحوث يعني أن العلاقة بين البحث و الموضوع دينامية أي إن هذه الدينامية هي ما تميز البحث و موضوع البحث.

– **التأمل النقدي للموضوع و التحليل:** يتميز البحث الكيفي بالتفكير النقدي للموضوع أو تأمل موضوع البحث و عملية البحث، إن مبدأ التأمل بالنسبة إلى موضوع التحليل أي الظواهر و العمليات التي ينبغي دراستها يقوم على التصور النظري لمجال الموضوع ذاته، حيث إن الفرضية الأساسية للنموذج التفسيري تكمن في افتراض التأمل النقدي لمعاني منتجات السلوك البشري اللغوية (الرموز، أفعال اللغة، التأويلات اللغوية أو غير اللغوية و الإشارات و الأفعال).

– **التفسير**: يعني مبدأ التفسير أن نتوقع من الباحث بيان الخطوات المختلفة لعملية البحث بقدر الإمكان و تتحدد أيضا القواعد التي ينبغي بموجبها تفسير البيانات التي تم الحصول عليها ميدانيا و يتعين على الباحث الكيفي تفسير بياناته بشكل أفضل و ألا يقع فريسة للتكميم و الترميز، كما هو الحال في البحث الكمي، فالبحث الكيفي فكري و عقلي و ميداني، حتى الواقع الإمبريقي فإنه يبحث كإشكالية فكرية و معرفية بخلاف منهج البحث الكمي الذي يغلب عليه الطابع الآلي التقني.

– **المرونة**: يقوم الباحث في البحث الكيفي بتوجيه البحث للحصول على البيانات و التفسيرات من الحياة الاجتماعية الإمبريقية فالبحث يبقى متجدرا فيها، كما يمكن القول أن هدف البحث الكيفي يكمن في كيفية طرح المشكلة و عرضها و الحصول على البيانات المطلوبة.

4– انتقادات البحث الكيفي:

إن الدارسين لعلم المناهج أكدو على أن للبحث النوعي جوانب ضعف تتمثل في النقاط التالية: (Pfeifer,2000,p231)

– **الفاعلية**: لا يستطيع البحث النوعي دراسة العلاقات بين متغيرات بدرجة من الدقة تكفي لبناء اتجاهات اجتماعية أو لتوجيه السياسات الاجتماعية.

– **التمثيل**: يرتكز البحث النوعي على عينات صغيرة ولا يخرج بنتائج تمثيلية.

– **القابلية للتعميم**: بما أن الدراسات النوعية غير تمثيلية فإن نتائجها غير قابلة للتعميم.

– **الموضوعية**: لا يضمن منهج البحث النوعي الموضوعية ولذلك تكون النتائج غير مؤكدة.

– **الصدق و الثبات**:إجراءات البحث و بنائه لا تضمن صدق طرائق البحث و ثباتها.

– **التفسيرات**:ليست هناك طريقة تضمن سلامة فهم الباحث للمعاني والتفسيرات الحقيقية لأفراد الدراسة.

– **القابلية للمقارنة**: لا تنتج الدراسات النوعية بيانات تسمح بمقارنتها بيانات أخرى.

– **إعادة التطبيق**:إن طبيعة هذا المنهج الذاتية و الفردية لا تسمح بإعادة تطبيقها.

– **الأخلاق**: إن طبيعة البحث التي تتطلب التواصل مع المبحوثين عن قرب قد تؤدي إلى مشكلات أخلاقية.

– **جودة البيانات**: إن طبيعة طريقة جمع البيانات تؤدي إلى إنتاج كمية هائلة من المعلومات غير المفيدة.

– **غياب الإجراءات البحثية الصارمة**: عدم وجود إجراءات بحثية صارمة و الدرجة العالية من الذاتية و النسبية، تعطي الانطباع بأن كل شيء مقبول و جائز في هذا البحث.

– **الوقت**: يتطلب البحث النوعي وقتا طويلا.

– **التكلفة**: يعد البحث النوعي نسبيا مكلفا جدا.

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه في محاضرة البحوث الكمية والبحوث الكيفية يستنتج أن كلاهما خيار للباحث وفقا لأهدافه البحثية، فما يعطي أولوية منهج عن منهج آخر هو الهدف من الدراسة ونوعها وطبيعة المجال الميداني الذي سيحدد لنا أولوية منهج عن آخر بناء عن كل دراسة قائمة بذاتها دون تعميم أولوية منهج عن آخر.

فيمكن استخدام المناهج الكمية التي توفر للباحث الأرقام والقياسات فيقوم بتحليلها وإعطائها دلالاتها، وقد يلجأ إلى المناهج الكيفية المختلفة فيستخدم اللغة الواضحة، ويلجأ إلى زيارة الموقع في أكثر من مرة ويستهدف استيضاح المعاني من خلال الواقع المعيش، إلا أنها تحتاج جهدا ووقتا أكثر من الدراسة الكمية، وبالنسبة للعينات فالأمر مختلف تماما حيث يلجأ الباحث في المناهج الكمية إلى أكبر عدد من المبحوثين في حين الباحث في المناهج الكيفية يلجأ إلى عدد قليل من الأفراد، والبحوث الكيفية في عمومها تمتاز بالمرونة أكثر من البحوث الكمية.

المحاضرة الثالثة: مقارنة بين البحوث الكمية والكيفية

محتوى المحاضرة:

- أوجه التشابه بين البحوث الكمية الكيفية
- أوجه الاختلاف البحوث الكمية الكيفية
- استخدام المنهجين في البحوث العلمية

أهداف المحاضرة:

- إزالة الغموض أو الإلتباس بين البحث الكمي والبحث الكيفي بالتركيز على أوجه الاختلاف بينهما
- تكوين خلفية معرفية حول الفرق بين البحث الكمي والبحث الكيفي

جاءت هذه المحاضرة لتقديم مقارنة بين البحثين الكمي و الكيفي وذالك لمحاولة الإجابة على التساؤل المطروح: ما هي أوجه الاختلاف والتشابه بينهما؟ ومتى نستخدم المنهجين؟

I- أوجه التشابه بين البحوث الكمية الكيفية :

كلاهما عبارة عن منهج يتضمن جملة من الخطوات والإجراءات، تعتمد عليه الدراسات والبحوث السوسيولوجية والاعلامية ولا تستطيع الاستغناء عن كلاهما معا.

II- أوجه الاختلاف البحوث الكمية الكيفية :

1- الاختلاف في المنطلقات والدوافع الاجتماعية: حيث يتبنى البحث الكمي نظرة تفترض وجود حقائق اجتماعية موضوعية معزولة عن مشاعر ومعتقدات الأفراد، ويتم قياسها بأدوات مناسبة تتوفر فيها الخصائص الأساسية من صدق وثبات. إلا أن البحث الكيفي يفترض وجود مؤثرات عدة، يتم بناؤها اجتماعيا من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات للموقف. فهناك دوافع(اجتماعية وثقافية وعرقية ودينية...) تؤثر في المواقف، لذا يحاول الباحث في البحث النوعي فهم الظاهرة وهي في ظروفها التي تمت وحدثت فيها. (فريد كامل أبو زينة وآخرون، 2007، ص 32).

ويستخدم البحث الكمي في المجالات التي يتبين للباحث أن الأساليب والمقاييس لا تستطيع وصف أو تفسير المشكلة أو الحالة المعروضة.

فالبحث النوعي ينظر إلى سلوك الإنسان على أنه من التعقيد بحيث يصعب فهمه بتلك الطريقة.

من جانب آخر يسلم البحث الكيفي بأن السلوك الإنساني يكون مرتبط بالبيئة التي تجري بها نشاطات ومعالم البحث، ويعيش فيها المبحوثين.

وهناك تأثيرات اجتماعية وثقافية وتاريخية على الخبرات الإنسانية. بينما تدعو البحوث الكمية إلى عزل السلوك الإنساني عن المحيط الذي يتواجد فيه الأفراد المعنيين بالبحث.

2- هدف البحث الكمي يختلف عن هدف البحث الكيفي: تهدف البحوث الكمية إلى اختبار بعض الفرضيات التي تتعلق بوصف واقع معين، من خلال بناء علاقات وقياس بعض المتغيرات، واستخدام البيانات المتوافرة لإيجاد علاقة ارتباطية أو سببية. كذلك تحاول الدراسات الكمية التوصل إلى عموميات غير مرتبطة بالسياق الذي تنفذ فيه الدراسة. كما يهدف إلى تعميم نتائج البحث على حالات أخرى.

أما البحث الكيفي ليس هدفه اختبار الفرضيات وإنما تكوين الفرضيات، أي أولوية البيانات والميدان على الفرضيات، فالفرضيات تكشف وتكون من خلال الدراسة الميدانية.(كمال عبد الحميد زيتون،2006،ص38)

فالهدف الرئيسي للبحث النوعي فهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم، ومن خلال معايشة الباحث لحياة المشاركين العادية. حيث يعتقد الباحثون في الجانب الكيفي أن الأفعال الإنسانية وآراء الأفراد ومعتقداتهم تتأثر بالمواقف والبيئة التي تحدث فيها. ومن خلال الإطار الذي يفسر فيه الأفراد أفكارهم ومشاعرهم وأفعالهم. ويتم التوصل إلى هذا الإطار من قبل الباحث خلال جمع البيانات وتحليلها. ولا يهدف البحث الكيفي إلى تعميم النتائج. بل توسيع نتائج الحالة التي كثيرا ما تقود إلى مواقف وحالات قد تكون مشابهة.(عامر قنديلجي،إيمان السامرائي، 2009، ص ص 62-63).

3- منهجية وخطوات البحث أكثر مرونة من إجراءات وخطوات: حيث تجرى البحوث الكمية وفق إجراءات وخطوات تتابعية، ومخطط معد إعدادا محكما مسبقا، يسترشد به الباحث. أما الدراسات الكيفية فهنالك قدر أكبر من المرونة فيما يتعلق بخطة البحث. (ذوقان عبيدات . سهيلة أبو سعيد،2002، ص 159)

فالباحث في البحث الكيفي لا يستطيع وضع فرضية أو فرضيات مسبقة، كما هو الحال في البحوث والدراسات الإثنوغرافية وبحوث النظرية المتجذرة أو المتأسسة، لأن الباحث الكمي يعكف على دراسة موضوع من دون تصورات مسبقة وراسخة عنه، مما يتعلق بأي من المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة، والربط بينهما. وعلى هذا الأساس فإن الباحث في البحث الكيفي لا يستطيع أن يتحدد بفرضية معدة مسبقا، أو يختبر علاقة بين متغيرات تكون معدة مسبقا. بل أنه يدرس جميع العوامل والمؤثرات في موقف معين، أي الخبرة الإنسانية بشكل كلي أولا. لذا فإن الباحث يأخذ ويشتق من المقابلات الاستطلاعية الأولى، أو الملاحظة الأولى معنى ومغزى ما يسمع، أو يرى، ثم يضع في ضوءه تخمينات تتطور لاحقا إلى فرضيات، يعمل على تأكيدها أو نفيها، من خلال بقية معلومات مقابلاته وملاحظاته اللاحقة ثم يخرج بالتفسيرات والنتائج.

4- المعاينة والعينات العشوائية في البحث الكمي والمقصودة في البحث الكيفي: عينات البحث الكمي تكون عشوائية(أو احتمالية) في الغالب، لتمثل مجتمع الدراسة، بعدد مناسب وكبير نوعا ما قياسا بعينات البحث الكيفي. أما عينات البحث الكيفي تكون مقصودة، عددها محدود(أقل من الإحتمالية عادة) ولكنها تؤمن غزارة وافية في البيانات والمعلومات. ويكون المشاركون في الدراسات الكمية عادة أفراد تتوفر فيهم خصائص الحالة المدروسة، ويتم اختيارهم بصورة هادفة من موقع ما.

(Caswell.p,2002,p51)

5- الاستبيان في الغالب يستخدم في جمع البيانات في البحث الكمي والملاحظة والمقابلة المعمقة في الكيفي: جمع البيانات في البحث الكمي يركز على أداة الاستبيان، وكذلك المقابلات أو الملاحظات المبنية بناء محكما، مسبقا أما في البحث الكيفي فتستخدم المقابلة المعمقة، غير النمطية، و/أو الملاحظة المشاركة غير المبنية بناء محكما مسبقا، و/أو الوثائق الرسمية والشخصية ذات العلاقة، وقد تختلف طريقة وأسئلة المقابلة في البحث الكيفي، بين فرد وآخر من أفراد مجتمع الدراسة، أو عينته. بخلاف الباحث الكمي الذي تكون فيه أسئلة المقابلة، مثل الاستبيان نمطية، ومعدة مسبقا.(عامر قنديلجي،إيمان السامرائي،2009، ص 64).

6- دور الباحث منفصل في البحث الكمي ودوره مرن في البحث الكيفي: يكون دور الباحث في الدراسات الكمية منفصلا عن الدراسة لكي يبتعد عن التحيز، في حين ينغمس الباحث في الدراسات النوعية في الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة. من جانب آخر لا يكون الباحث محايدا في البحث الكيفي، بل تكون لديه مرونة في التغيير في خطة البحث، وفق مجريات البحث والبيانات المجمعة، أو المطلوب تجميعها. بينما يستخدم الباحثون الكميون أدوات جمع البيانات بصورة موضوعية، في حين يؤكد الباحثون النوعيون على أهمية البيانات التي يتم جمعها، من قبل شخص ماهر، ومن خلال الدور التفاعلي والاجتماعي الذي يشارك فيه. (فريد كامل أبوزينة وآخرون، 2007، ص 33).

فبينما يسعى الباحث الكمي إلى التخلص من الذاتية من خلال التصميم المخطط له مسبقا، يعمل الباحث الكيفي على اعتماد الذاتية المنضبطة للبعد عن التحيز عن جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها. ويحكم على مصداقية البحث الكيفي من خلال قناعة ورأي القارئ(أو المشرف ولجنة المناقشة) في الآراء والاستنتاجات التي توصل إليها الباحث، وليس من خلال العمليات الإحصائية والمعادلات المستخدمة في البحث الكمي. وتعزز المصداقية في البحث الكيفي عادة بإستراتيجيات مشتركة مثل المطاولة في العمل الميداني والطرق المركبة في جمع البيانات، والاعتبارات المهنية، وتوصيفات الاستدلالات القانونية، والباحثون المساعدون أو المشاركون، وتسجيل البيانات بشكل آلي، وفحص وتدقيق الأعضاء المشاركون.

7- تصميم البحث الكمي تختلف عن تصاميم البحث الكيفي: ونعني بتصميم البحث الخطة والإجراءات المستخدمة للحصول على الأدلة. حيث تصنف البحوث الكمية عادة إلى بحوث تجريبية وأخرى غير تجريبية. ويكون لدى الباحث في التجريبية نوع من السيطرة على ما يحدث للأشخاص من خلال فرض أو حجب ظروف محددة بطريقة منظمة.ثم يقوم الباحث بمقارنة أشخاص الدراسة الذين خضعوا للظروف المفروضة والذين لم يخضعوا لمثل تلك الظروف، أو بين الأشخاص الذين مروا بظروف مختلفة. وللتصاميم التجريبية هدف آخر، هو دراسة العلاقة السببية بين الظروف التي جرى التحكم بها، أي المتغير المستقل في الدراسة، وبين النواتج المقاسة، أي المتغير التابع.

أما في تصاميم البحوث الكمية الوصفية غير التجريبية فلا يوجد تحكم بالظروف التي يمر بها الأشخاص موضوع البحث، وبدلا من ذلك يقوم الباحث بالملاحظة أو الحصول على قياسات من الأشخاص لوصف شيء ما أو حدث ما.

(فريد كامل أبوزينة وآخرون،2007، ص ص 36).

في حين تصاميم البحث الكيفي أقل تنظيما من تصاميم البحث الكمي؛ ففي البحث النوعي يتم تحديد الإجراءات خلال عملية البحث بدلا من تحديدها مسبقا، وتعتمد كل خطوة على المعلومات السابقة التي تم جمعها في الدراسة. وفي البحوث الكيفية يتم عادة دراسة السلوك كما يحثه بصورة طبيعية، ودون التحكم بالظروف أو الخبرات؛ وهي بهذا المعنى بحوث غير تجريبية.

ويصنف البحث الكيفي عادة في صنفين هما البحث الكيفي التفاعلي، والبحث الكيفي غير التفاعلي. ويعتمد البحث الكيفي على مصادر متنوعة للبيانات تتمثل في المشاهدات الميدانية، والمقابلات المعمقة، والوثائق والسجلات. كما تتطلب إجراءات البحث الكيفي أيضا تسجيل المواقف التي تمت مشاهدتها، والمقابلات التي تم اجراءها. وفي كثير من الحالات يتم المزج بين هذه المصادر في دراسة واحدة.

فالبحث التفاعلي هو بحث ميداني يعتمد في جمع البيانات على الاتصال المباشر ما بين الباحث والأشخاص من خلال المشاهدات الميدانية أومن خلال المقابلات المعمقة. أما البحث الكيفي غير التفاعلي فهو بحث وثائقي تحليلي أو تاريخي.

(فريد كامل أبوزينة وآخرون،2007، ص 39).

8- تحليل البيانات وتفسيرها: تحليل البيانات في البحث الكمي يتم بعد الانتهاء من جمع كل البيانات. بينما يتم تحليل البيانات في البحث الكيفي أثناء جمعها. ويساعد هذا النوع من التحليل على تحديد الخطوة التالية للباحث، في مقابلاته وطبيعة أسئلته، أو في مقابلاته وطبيعة تحركاته. وكذلك في تحديد الوثائق الرسمية والشخصية التي قد يحتاج إلى مراجعتها. وإضافة إلى التحليل أثناء جمع البيانات، في البحث الكيفي، هنالك تحليل شامل في نهاية جمع البيانات. لذا يستغرق تحليل البيانات، في البحث الكيفي وقتا أطول من تحليل البيانات في البحث الكمي.

من جانب آخر لا تركز البحوث النوعية على الطرق الرقمية والإحصائية في تفسير البيانات المجمعة والنتائج، كما في البحوث الكمية، بل تعمل على تفسير الظواهر المبحوثة بأسلوب سردي إنشائي يعتمد التعبير بعبارات وجمل توضح ماهية وطبيعة تلك الظواهر، وعلاقاتها المتداخلة مع بعضها.

9- مكونات وأجزاء البحث الكمي والبحث الكيفي مختلفة: يقدم تقرير البحث تصور شامل للبحث وإجراءات تنفيذه، ويتم ذلك بأسلوب متفق عليه من قبل جهات النشر، مع اختلاف في أشكال التقارير المستخدمة. ومن المهم الحكم على مصداقية البحث بشكل عام عند تقديم تقرير البحث. ويعتمد هذا الحكم على تقييم لأجزاء التقرير الرئيسية. فكل جزء يساهم في المصداقية الكلية للبحث. وهناك بعض الاختلافات بين أشكال تقارير البحوث الكمية وتقارير البحوث الكيفية، فالبرغم من عدم وجود شكل متفق عليه عالميا لتقديم البحوث الكمية، تلتزم معظم الدراسات بنسق الاستقصاء العلمي. ومع وجود تنوع واختلاف في المصطلحات المستخدمة، فإن معظم الدراسات تشمل التسلسل في المكونات التالية: الملخص، المقدمة، مشكلة البحث، مراجعة الأدب والدراسات السابقة، صياغة فرضيات أو أسئلة البحث، المنهجية وتشمل(الأشخاص والأدوات والإجراءات)، النتائج، المناقشة والاستنتاجات، وأخيرا المراجع.

ومن جانب آخر تتنوع الأشكال المستخدمة في تقارير البحوث النوعية بدرجة أكبر من تقارير البحوث الكمية. والسبب هو تعدد أنماط الدراسات النوعية. فبعض تقارير البحوث الكيفية لا تشمل على ملخص البحث، كما في البحوث الكمية. أضف إلى ذلك إن الدوريات العربية والأدبيات العربية تفتقر إلى تقارير البحوث الكيفية، مقارنة بتقارير البحوث الكمية المنشورة فيها.

وأخيرا فإنه بالرغم من عدم وجود طريقة وحيدة لتمثيل البحث الكيفي فإن العديد من تقارير البحوث الكيفية تضم: المقدمة، المنهجية، النتائج، التفسيرات، الاستنتاجات، المراجع، الهوامش(عامر قنديلجي، إيمان السامرائي، 2009، ص 68).

	البحوث الكمية	البحوث الكيفية
نوع البيانات	رقمية كمية	كلمات وألفاظ وعبارات
النظر الى الظاهرة	افتراض وجود حقيقة اجتماعية موضوعية واحدة	الحقائق متعددة
الهدف	يسعى البحث العلمي الى بناء علاقات وتفسير أسباب التغيرات في الحقائق الاجتماعية المقاسة ومن ثم الوصول الى تعميمات مفيدة	يهدف إلى فهم الظاهرة الاجتماعية من منظور المشاركين أنفسهم في حالتها الديناميكية.
دور الباحث	الباحث منفصل عن الدراسة لكي يبتعد عن التحيز	ينغمس الباحث في الموقف والظاهرة موضوع الدراسة
المناهج	المناهج الكمية: المسح، المنهج الاحصائي	المناهج الكيفية: الاثنوغرافي، تحليل الخطاب، التحليل السيميولوجي
الأدوات	الاستبيان، تحليل المحتوى	المقابلة، الملاحظة
العينات	العينات الاحتمالية: العشوائية البسيطة، المنتظمة، الطبقية، متعددة المراحل	العينات غير الاحتمالية: الصدفية، القصدية، الثلجية، الحصصية

أدوات البحث الكيفي	أدوات البحث الكمي
مرونة عالية في الأدوات	لا توجد مرونة
مشاركة كبيرة	مشاركة قليلة
تفريغ وتحليل البيانات خلال عملية جمعها	تفريغ وتحليل البيانات بعد عملية جمعها
فحص علاقات سببية	فحص علاقات ارتباطية
يهدف لفهم الظواهر في سياقها	يهدف لقياس شيء ما
عدد غير محدود من المتغيرات	عدد محدود من المتغيرات تبعا لوجودها في الاستبيان
أساليب وأدوات بحثية متعددة	أساليب وأدوات بحثية محدودة
دراسة الصيرورة التاريخية أو الظاهرة التاريخية	دراسة الظاهرة في لحظة محدودة زمنيا
عينة قصديه	عينة عشوائية
إمكانية دراسة الحالات المتطرفة والاستثنائية	إمكانية دراسة الحالات الاستثنائية محدودة
تحاليل إحصائية قليلة جدا	تحاليل إحصائية كبيرة
لا يمكن تعميم النتائج	يمكن التعميم
استخدام الطريقة الاستقرائية :يبدأ الباحث من البيانات التي جمعها أو المشاهدات التي لاحظها، النظريات تظهر أو تشتق من مجموعة البيانات أثناء جمعها وبعد تحليلها،بناء النظرية يتم خطوة خطوة.	اختبار النظريات بطريقة قياسية:تحديد النظرية الموجودة / بناء فرضيات افتراض علاقات، وعلى ضوء النتائج يتم قبول أو رفض أو تعديل النظرية.

III- استخدام المنهجين في البحوث العلمية:

يتم اللجوء إلى البحوث الكيفية عندما تكون هناك معرفة محدودة أو بسيطة عن مجال أو موضوع معين، وعندما يشك الباحث في المعرفة المتاحة في هذا المجال أو النظريات المتوفرة عنه، أو أن هذه النظريات يراها الباحث على أنها متحيزة، وعندما يكون سؤال البحث موجها أو يسعى لفهم أو وصف ظاهرة معينة أو حدث معين لا يعرف الباحث الكثير عنه أو تتوفر عنه

معرفة محدودة، ومن هذا المنظور فإن جزء من البحوث الاستكشافية(الاستطلاعية) يعد نوعا من البحوث الكيفية، ذلك أن البحث الاستكشافي يتم استخدامه عندما لا تتوفر معلومات كافية عن الظاهرة أو المشكلة محل البحث خاصة في حالة عدم توفر دراسات سابقة من قبل حول المشكلة محل الدراسة.

ونظرا لأن البحث الكيفي يعتمد في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها، فإن بعض البحوث التاريخية تعتبر نوعا من البحوث الكيفية، حيث يعتمد البحث التاريخي في حالات كثيرة على دراسة الوثائق وتحليلها وجمع الحقائق منها وتركيبها ثم تفسيرها من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية.

ويلاحظ أن البعض ممن لا يفهمون الطبيعة أو المنظور المعرفي للبحث الكيفي يعتقدون أن البحوث الكيفية لا تتبع خطوات البحث العلمي المعروفة، إلا أن هذا الاعتقاد خاطئ لأن هناك خطوات محددة ومعروفة لإجراء البحث الكيفي، هذه الخطوات تعتمد الطريقة العلمية في البحث، إلا أنها قد تختلف في بعض إجراءاتها أو طبيعتها عن تلك المعروفة في البحوث الكمية.

هناك أمر آخر يتعلق بمدى جودة الدليل الذي تقدمه هذه البحوث، وهو أنها تدرس إدراكات الأفراد وتعتمد في التحليل على المواقف والأحداث، وهنا قد تكون تقارير هذه البحوث متحيزة، وقد تتناقض نتائجها، إلا أننا يجب أن نلاحظ أن البحوث الكيفية لا تبحث عن الموضوعية أو الاختلاف بين آراء الأفراد أو التقارير، وإنما المهم هو أن يكون هناك موضوعية في تسجيل ادراكات الأفراد كما تحدث تماما ووصفها بشكل موضوعي دون تدخل من الباحث.

على النقيض من البحث الكيفي فإن البحث الكمي يبحث عن الأسباب والحقائق من منظور أوسع وأشمل، وعن العلاقات بين المتغيرات حتى يمكن تفسير علاقات السبب والنتيجة بين هذه المتغيرات، ويصبح من الممكن التوصل إلى تنبؤات دقيقة بخصوص الظاهرة أو الظاهرة محل الدراسة.

يتم استخدام البحوث الكمية عندما تكون هناك معرفة متوفرة حول الموضوع الذي يرغب الباحث في دراسته، بمعنى أن هناك نظريات محددة وأدبيات سابقة تتوفر لدى الباحث، كما أن درجة وضوح الظاهرة أو المشكلة محل الدراسة تمكن الباحث من استخدام المدخل الكمي في البحث، هذا إضافة إلى توفر مقاييس ثابتة وصادقة إحصائيا عن المتغيرات المراد دراسة العلاقات بينها، وسوف نورد في الجزء التالي مباشرة عددا من المعايير التي تساعد الباحث عند اختياره بين المدخلين الكيفي والكمي.

(عادل محمد ريان، 2003، ص ص 4-7).

خاتمة:

من خلال هذه المحاضرة تم التعرض إلى أوجه الشبه والاختلاف بين البحثين الكمي والكيفي، و اتضح الفرق بين البحثين يتعلق بجذورهما الفلسفية. فالبحث الكمي منطلق من الفلسفة المنطقية الوضعية ، التي ترى أن المعاني مستقلة عما نراه من حولنا من أشياء، وأنها (أي المعاني) من الممكن تفتيتها إلى أجزاء صغيرة قابلة للقياس عن طريق مقاييس موضوعية. أما البحث الكيفي فمنطلق من الفلسفة البنائية الاجتماعية ، التي ترى أن هناك حقائق متعددة وأن الحقيقة في واقع أمرها، لها مستويات وأبعاد متعددة، وأن المعاني يمكن فهمها من خلال مستويات متعددة، عن طريق السياق الاجتماعي.

وفي الواقع هناك خلافا جدليا بين أنصار كل بحث، ومع ازدياد نبرة الخلاف وحدته، بدأت تظهر مؤخرا الآراء التي تنادي بأن كلا البحثين له مزاياه وله عيوبه، وأن هناك متسعا في العلوم الإعلامية لكليهما، وعليه فكلاهما مطلوب وحقيقة الأمر أن هذين البحثين مكملان لبعضهما، إذ أن كلا منهما ينظر إلى الظواهر الإعلامية من زاوية مختلفة. وقد يتبادر إلى الذهن في أول وهلة سؤال يتعلق بكيفية أو مدى إمكانية دمج هذين المنهجين. ويمثل التعدد المنهجي، الوسيلة الوحيدة للجمع بين هذين المنهجين في دراسة واحدة، إذ بإمكان الباحث أن يستخدم المنهجين الكمي والكيفي معا في دراسة الظاهرة نفسها مستخدما التعدد المنهجي، وهذا ما سنتطرق إليه في المحاضرة الموالية البحث المزدوج.